التَّارِيخُ: 06.12.2024

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا.

وَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

اَقْسِمُوا الْمَالَ بَيْنَ أَهْلِ الْفَرَائِضِ عَلَى كِتَابِ اللهِ...

المِيرَاثُ: هُوَ الحَقُّ الَّذِى وَضَعَ حُدُودَهُ اللَّهُ تَعَالَى

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْكِرَامُ!

إِنَّ مِنَ المَسْؤُولِيَّاتِ الَّتِى أَمَرَنَا دِينُنَا الإِسْلَامِيُّ الحَنِيفُ أَنْ نُؤَدِّيَهَا أَنْ نَتَقَاسَمَ المِيرَاثَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ. وَالمِيرَاثُ هُوَ تَوْزِيعُ مَا يُخَلِّفُهُ المُتَوَفَّى مِنْ أَمْوَالٍ وَمُمْتَلَكَاتٍ وَثَرَوَاتٍ بَيْنَ الوَرَثَةِ فِى حُدُودٍ مُعَيَّنَةٍ.

وَقَدْ جَاءَ فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ بَيَانُ الأَحْكَامِ المُتَعَلِّقَةِ بِالمَوَارِيثِ بِأَدَقِّ التَّفَاصِيلِ، وَعَبَّرَ عَنْهَا فِى القُرْآنِ الكَرِيمِ بِ "حُدُودِ اللَّهِ"، أَيِ الحُدُودِ الَّتِى وَضَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى. وَقَدْ قَالَ نَبِيُّنَا (ص): **"اقْسِمِ الْمَالَ بَيْنَ أَهْلِ الْفَرَائِضِ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ..."**[1] وَأَرَادَ أَنْ لَا يُحْرَمَ وَارِثٌ مِنْ نَصِيبِهِ الشَّرْعِيِّ فِى المِيرَاثِ.

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَعِزَّاءُ!

لَقَدْ أَمَرَنَا دِينُنَا الإِسْلَامُ أَنْ نُطَبِّقَ العَدْلَ بِدِقَّةٍ فِى قِسْمَةِ المَوَارِيثِ كَمَا هُوَ الحَالُ فِى كُلِّ شُئُونِنَا، وَأَنْ نُعْطِىَ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ فِى قِسْمَةِ المِيرَاثِ سَوَاءٌ أَكَانُوا رِجَالًا أَوْ نِسَاءً، كِبَارًا أَوْ صِغَارًا. وَالحَقِيقَةُ أَنَّ رَبَّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ فِى الآيَةِ السَّابِعَةِ مِنْ سُورَةِ النِّسَاءِ مَا يَلِى:**" لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ وَالأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا مَفْرُوضًا "**[2]. وَقَدْ حَدَّدَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الأَنْصِبَةَ الوَاجِبَةَ مِنَ المِيرَاثِ قَلِيلِهِ أَوْ كَثِيرِهِ. وَلَمْ يَظْلِمْ دِينُنَا الحَنِيفُ المَرْأَةَ فِى تَقْسِيمِ المِيرَاثِ بَلْ جَعَلَ لَهَا نَصِيبًا مَفْرُوضًا مِنْ نَصِيبِ وَالِدَيْهَا وَزَوْجِهَا وَأَوْلَادِهَا، بَلْ وَمِنْ نَصِيبِ أَحْفَادِهَا عِنْدَ الضَّرُورَةِ[3]. كَمَا أَنَّهُ مِنَ المَشْرُوعِ لِلْوَرَثَةِ أَنْ يُقَسِّمُوا المِيرَاثَ فِيمَا بَيْنَهُمْ بِأَيِّ طَرِيقَةٍ يَشَاؤُونَ بِنَاءً عَلَى التَّرَاضِى بَيْنَهُمْ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّ الظُّلْمَ فِى قِسْمَةِ المِيرَاثِ فِى هَذِهِ الأَيَّامِ مِنْ أَهَمِّ المَشَاكِلِ الَّتِى تُؤَدِّى إِلَى زِيَادَةِ المَشَاكِلِ العَائِلِيَّةِ وَالتَّبَاغُضِ بَيْنَ الأَشِقَّاءِ وَالأَقَارِبِ، وَنُشُوءِ الشَّحْنَاءِ بَيْنَهُمْ ، وَنُشُوبِ الخُصُومَاتِ. وَإِنَّ عَدَمَ الِالْتِزَامِ بِالضَّوَابِطِ الَّتِى وَضَعَهَا الإِسْلَامُ فِى قِسْمَةِ المِيرَاثِ إِثْمٌ عَظِيمٌ وِوِزْرٌ كَبِيرٌ وَوَيْلٌ عَظِيمٌ. فَعَدَمُ إِعْطَاءِ البَنَاتِ حُقُوقَهُنَّ كَامِلَةً وَحِرْمَانُهُنَّ مِنَ المِيرَاثِ لِأَنَّهُنَّ مُتَزَوِّجَاتٌ، وَاعْتِبَارُهُنَّ مِنَ المُمْتَلَكَاتِ وَالأَرَاضِى الَّتِى لَا قِيمَةَ لَهَا وَلَا وَارِثَ لَهَا قَسْوَةٌ وَاضِحَةٌ. وَ كَمَا جَاءَ فِى الآيَةِ الكَرِيمَةِ "إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا"[4]. وَلِلإِنْسَانِ أَنْ يُقَسِّمَ أَمْلَاكَهُ بَيْنَ أَوْلَادِهِ بِشَرْطِ أَلَّا يَخْرُجَ عَنِ العَدْلِ . وَمِنَ الخُرُوجِ عَنِ العَدْلِ أَنْ يَهَبَ المِيرَاثَ كُلَّهُ أَوْ بَعْضَهُ لِأَحَدِ الأَوْلَادِ وَيَهْضِمَ حُقُوقَ الآخَرِينَ، فَهَذَا خُرُوجٌ عَنِ العَدْلِ. بَلْ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: **" اِتَّقُوا اللَّهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ "**[5].

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ الْأَفَاضِلُ!

إِنَّ أَحْكَامَ قِسْمَةِ المَوَارِيثِ كَسَائِرِ الأَحْكَامِ الَّتِى شَرَعَهَا اللَّهُ تَعَالَى هِىَ أَنْسَبُ الأَحْكَامِ لِلطَّبِيعَةِ البَشَرِيَّةِ. وَالسَّبِيلُ الوَحِيدُ لِلْقَضَاءِ عَلَى كُلِّ السَّلْبِيَّاتِ وَالمُشْكِلَاتِ الَّتِى يُعَانِى مِنْهَا تَوْزِيعُ المِيرَاثِ اليَوْمَ هُوَ الِالْتِزَامُ بِمَبْدَأِ العَدْلِ الَّذِى جَاءَ بِهِ الإِسْلَامُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ الْأَعِزَّاءُ!

لَقَدْ أَخْبَرَ القُرْآنُ الكَرِيمُ بِالنِّهَايَةِ المَرِيرَةِ لِلَّذِينَ يَظْلِمُونَ فِى قِسْمَةِ المِيرَاثِ عَلَى النَّحْوِ التَّالِى:**" وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ "**[6] . فَدَعُونَا لَا نَتَعَدَّى الحُدُودَ الَّتِى حَدَّهَا رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِى المِيرَاثِ، بِأَنْ نَغْتَرَّ وَ نَنْخَدِعَ بِالمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ الزَّائِلَةِ، وَنَنْشَغِلَ بِأَطْمَاعِنَا. فَلْنُعْطِ كُلَّ ذِى حَقٍّ حَقَّهُ، وَلَا نَأْكُلَ حَقَّ العَبْدِ. دَعُونَا نُرَاعِى الرَّحْمَةَ وَالإِنْصَافَ وَالعَدْلَ فِى قِسْمَةِ المِيرَاثِ. وَلَا نَنْسَى أَنَّ نِهَايَةَ الَّذِينَ لَا يَرْضَوْنَ بِقِسْمَةِ رَبِّنَا لِلْمَوَارِيثِ وَيَطْمَعُونَ فِى أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِمْ الخَيْبَةُ فِى الدُّنْيَا وَالعَذَابُ الأَلِيمُ فِى الآخِرَةِ.

وَأَخْتِمُ خُطْبَتِى هَذِهِ بِتَحْذِيرِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:**" لَا يَأْخُذُ أَحَدٌ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ بِغَيْرِ حَقِّهِ إِلَّا طَوَّقَهُ اللَّهُ إِلَى سَبْعِ أَرْضِينَ يَوْمَ القِيَامَةِ"**[7].

---

[1] مُسْلِمٌ، كِتَاب الْفَرَائِض،4.

[2] سُورَة النِّسَاء،4/7.

[3] سُورَةُ النِّسَاءِ،4/11؛ الدَّارَ قُطْنِيُّ، كِتَاب السُّنَن، 5/160-161.

[4] سُورَةُ النِّسَاء،4/10.

[5] مُسْلِم، كِتَاب الْهِبَة،13.

[6] سُورَة النِّسَاء،4/14.

[7] مُسْلِم، كِتَاب الْمُسَاقَاة،141.